و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

من أنوار النبوة

١٧

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٧ / ٧ / ١٤٤٥ هـ

من أنوار النبوة ١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله..

حديثنا بهذا اللقاء استكمال لسلسلة من أنوار النبوة، التي نستعرض فيها أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسبق أن أنهينا مجموعة من الكتب، مثل: صحيح الجامع، والأدب المفرد، والجامع الصحيح وغيرها،

في مثل هذه الدروس لا نلتزم بمواضيع محددة تربط بين ما نتناوله من أحاديث، بل نمر عليها وننتقل تبعا للأبواب، لنشنف الآذان بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستفادة من فوائده، والآن بين يدينا كتاب كنا قد بدأناه في اللقاء الماضي، وهو "موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة" وهي موسوعة تصنيفية منهجية من كتب السنة، للدكتور همام سعيد، والدكتور محمد همام، وهو مكون من جزأين، كنا قد أنهينا الأول، ونبدأ في هذه اللقاء بالثاني إن شاء الله.

الحديث الأول:

عَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: [إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ] [1]، وهذا كان تحذير من النبي -صلى الله عليه وسلم-

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: [بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، ...، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ] [2]، هنا أمر -عليه الصلاة والسلام- بشيئين، الأول التبليغ عنه ولو بمقدار آية، فكل معلومة أو حديث جديد أو فائدة تتعلمها، بلغها عن النبي -عليه الصلاة والسلام- **لأن هذا الدين لن يموت وسيبقى إلى قيام الساعة.**

وعن مُعَاوِيَةَ، عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ] [3]،

وهذا المقام مقام التبليغ شرف كبير لنا، ولا يستوجب أن نكون أفضل الناس وأطوعهم، خالين من الأخطاء والخطايا، **بل على الإنسان أن يصلح نفسه، ولا يرضى بالخطأ، وألا يتعايش معه ولا مع معاصيه، مع هذا يجب عليه أن يبلغ عن أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأي مجلس كان، ولو كان شيئا يسيرا،**

وفي الشيء الثاني ذكر في الشطر الثاني من الحديث، والذي تكرر في الحديثين، **مكانة من كذب على الرسول -**

[1] أخرجه البخاري، صحيح
[2] أخرجه البخاري ، صحيح
[3]]أخرجه مسلم ، صحيح

صلى الله عليه وسلم- أن له مقعدا في النار، فالتبليغ يكون بحرص وانتباه، ألا تنشر كل ما يصل إليك دون الوقوف عليه، والتأكد من صحته، والآن هناك تطبيقات سهلة سريعة تتيح لك التأكد من هذا، كتطبيق الدرر السنية، ومع هذا فإن تخريج الحديث له مدارس وأصول، ولكن هذا يسهل على الناس أمثالنا ممن لا يعلم كيفية الحصول على تلك المعلومة.

نبحث في صحة الحديث حتى لا يشوه الدين بالبدع، لأن هذه الأمور كالتي تتناقل عن صلوات في رجب، والعمرة الرجبية، ليس من الزيادة بالخير، لأن الابتداع في الدين يجعل صاحبه في النار، ويعكر صفو الدين عندما يُنقل لمن بعدنا، وسيصير المآل كما صار لليهود والنصارى، لم يبقَ من دينهم شيء لأنهم لم يحافظوا على أصالة دينهم ونقائه، عن أبي هريره -رضي الله عنه-، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي..] [4]، لهذا نتعامل مع الدين كما هو، وكما قاله النبي -عليه الصلاة والسلام- بفمه الشريف، ولا نؤلف ونبتدع في دين الله عز وجل شيء، فكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فوجب علينا التحري فيما ننقل ونقول عن النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم.

الحديث الثاني:

عن يَحْيى بنِ الجزَّارِ، قال: [دخَلَ ناسٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- على أمِّ سلَمةَ، فقالوا: يا أمَّ المؤمنينَ، حَدِّثينا عن سِرِّ رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-، قالت: كان سِرُّه وعَلانِيَتُه سواءً، ثمَّ ندِمَتْ، فقلْتُ: أفشَيْتِ سِرَّ رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-. قالتْ: فلمَّا دَخَل أَخْبَرْتُه، فقال: أحسَنتِ] [5]

دخل مجموعة من الناس على أم سلمة، فسألوها عن سر رسول الله، هم لا يريدون عبادته وصلاته، بل جاؤوا يستفسرون عنه كالذي يسأل عن أحد، كيف يكون في بيته؟ وكيف يعيش؟ وهل هو داخله وخارجه سواء؟ ومن هذه الأسئلة، والصحابة من حبهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- سألوا هذا السؤال، فقالت أم سلمة وهي أكبر زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- سنا: " كان سره وعلانيته سواء" أي أن ما ترونه منه، وفي وجهه هو ما يكون عليه من خلفكم، فكما يكون مع الناس يكون مع أهله أو نفسه، لا وجه آخر له، ولا يتخفف من شيء أو يغير مبادئه وقيمه، ثم ندمت -رضي الله عنها- على قولها، أنها قالت شيئا لم يكن ليقوله -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبرته أجابها أحسنت.

الحديث الثالث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: [لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك، قال الألباني : صحيح
[5] أخرجه أحمد في مسنده ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده جيد

الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ] [6]

هذا الحديث شاهد على سره وعلانيته -صلى الله عليه وسلم- وكيف كان مع أصحابه في المواقف الصعبة من الحياة،

في غزوة حنين غنم المسلمون غنائم كثيرة جدا من الذهب والفضة والإبل والغنم وغيرها، لم يغنموا مثلها من قبل، وهذه المعركة كانت بعد فتح مكة، فأعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العرب وكانوا مسلمين جددا، ولم يعطِ الأنصار شيئا، وهم الذين فتحوا بيوتهم وقلوبهم للنبي -عليه الصلاة والسلام- وهم الذين بعد الله آووه حتى بلغ رسالته، وانتصر في بدر والأحزاب وغيرها، وفتحوا مكة معه، وكانوا عن يمينه وشماله،

فلما كان هذا الفتح الكبير، كثير الغنائم لأول مرة، أعطى الرسول قريشا، وقريش أهله، وأعطى المؤلفة قلوبهم جميعا، ولم يعطِ أحدا من الأنصار، فوجدوا في أنفسهم، وذلك لأنهم الأقدم، والذين كانوا معه على الحلو والمر، والذين كان لهم الموقف المشرف عند وفود المهاجرين إلى المدينة، أحدهم قسم بيته بينه وبين أحد المهاجرين، والآخر لديه مزرعتان فأعطى المزرعة الثانية، ومن لديه زوجتان أعطى زوجة من زوجاته، حتى أنه قال انظر إليهما أيهما أعجب إليك، أي: أيّ واحدة أحببت فهي لك، هؤلاء الناس تقاسموا كل شيء، حتى زوجاتهم وحبهم، لم يقل سآخذ الأحب لقلبي والأخرى لك، أو أنه سيأخذ الصغيرة ويعطيه الكبيرة، لا، بل خيَّره بمن يريد منهما، ناصفوا كل ما لديهم من أجل هذا الدين،

ثم يأتي مثل هذا الموقف، كيف ستكون ردة فعلك لو كنت مكانهم؟ على ماذا سيكون قلبك؟ وما هو شعورك؟ هل سيمر مرور الكرام وأنت الذي قسمت بيتك وأهلك ومالك؟

ولم يعطِ النبي -عليه الصلاة والسلام- أي اعتبار أو شكر، ولم يرد لك معروفك، حينما جاءت الغنائم من الذهب وقطعان الإبل والغنم أعطاها أهله، والمؤلفة قلوبهم، الذين لم يدخلوا معه بأي معركة، بل على العكس ذهبوا وفروا، ولم يجلسوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، عندما حز ذلك في خاطر الأنصار، وكثرت بينهم القالة، وهؤلاء الأنصار الذين تربوا على يد النبي -عليه الصلاة والسلام- ما كانوا ليجعلوا تلك الأقاويل تنخر في قلوبهم، ويتكلموا فيما بينهم، وهم يعلمون ما معنى الغيبة، وسوء الظن، وماذا تعني الأعذار، وحسن الظن،

فجاءوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- مع رئيسهم سعد بن عبادة، وأخبره بما وجده الأنصار في قلوبهم، وأنك كيف قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن للأنصار شيء، رد عليه الرسول -

[6] أخرجه البخاري ، صحيح

صلى الله عليه وسلم- بعد صراحته هذه: "**أين أنت منهم يا سعد؟**" أي ما قولك في هذا، فقال: "يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي"، أي أنا مثلهم عندي إشارة استفهام كبيرة لاستبعادنا، وقد لا يكون الأنصار بحاجة المال والذهب وغيرها، ولكن فكرة التفات الرسول -عليه الصلاة والسلام- لكل هؤلاء والتغاضي عنهم، وكأنهم غير موجودين، ولم يقدموا شيئا، أجج في صدورهم الخوف من أن تضحياتهم ووجودهم ليس له قدر في هذا الدين،

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: "اجمع قومك في هذه الحضيرة، ولا تجمع أحدا غيرهم"، فاجتمعوا في مكان معين، وأخبره سعد، فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- فحمد الله ثم أثنى عليه،

وقال: "يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم، وجدةٌ ووجدتموها في أنفسكم" أي وصلني منكم كلام كان في أنفسكم، والرسول -صلى الله عليه وسلم- مدرسة نتعلم منه، فلم يؤجل حديثه معهم، بل اجتمع بهم مباشرة ليقطع ما يتردد بينهم من حديث، ونحن غالبا نهرب من النقاشات، وحديث الخواطر، لأنه كما يقال الزمن كفيل لإبراء الجراح، أو أنه لن يتحدث، فمن يريد الرضا يرضى، ومن لا يريد فهو حر بمشاعره،

ثم قال لهم: "ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم بي، وأعداء فألف بين قلوبكم" والأنصار يقولون بعد كل كلمة: "الله ورسوله أمنٌّ وأفضل" فهم يعلمون جيدا ما كانوا يتعرضون له من الأوس والخزرج، وحرب البسوس التي كانوا بها لأربعين عاما، من أجل خيلة سبقت خيلة، وسالت بينهم الدماء، ومات جيل وراء جيل، والحرب لازالت قائمة، لم يوقفها إلا دخوله -صلى الله عليه وسلم- عليهم،

وكان فيهم الفقر والحمى، وأعظم منة كانت هدايتهم بعد أن كانوا يعبدون الأصنام المصنوعة من التمر، التي يقومون بأكلها حينما يجوعون، فما هذه الحياة التي كانوا يعيشونها وعقولهم مخدرة، وقد أنارها الله عز وجل بالتوحيد، وأصبح لهم هم ورسالة وهدف يعيشون به ومن أجله، فرجعت عقولهم إليهم بعد حديث رسول الله هذا، فقال لهم رسول الله: "ألا تجيبوني معشر الأنصار؟"، أي ردوا علي، وقولوا ما يجول في خاطركم،

فقالوا: "الله ورسوله أمنٌّ وأفضل"، فكلامه كان صحيحا، لا يستطيعون قول شيء، فقال: "أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم" ولكن لأدبكم لم تقولوا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- مترجما لما يجول في عقولهم وخاطرهم بلسانه: "أتيتنا مكذبا فصدقناك، وخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فواسيناك"، فتخيل قوله هذا، وهو يذكرهم بضعفه، ويذكر لهم فضلهم عليه، ثم يقول: "يا معشر الأنصار، أوجدتم أنفسكم في لعاعة من الدنيا، تألفت بها أقوام ليسلموا" أي أن ما في خاطركم شيء من أشياء الدنيا، التي جعلت لأقوام كي يسلموا، وأنتم وكلتكم إلى إسلامكم،

ثم يقول: "ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالكم"، هم أخذوا الذهب والفضة وقطعان الماشية، ولكنكم ترجعون ومعكم رسول الله، ثم يكمل: "والذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت أمرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار" فبكى القوم حتى أخذوا بلحاهم، وقالوا: "رضينا برسول الله قسما وحظا"

ولو وقفنا على هذا المشهد، نرى أن المدرسة النبوية تعلمنا شيئا، فالإنسان بطبعه عند العداوة والغضب ينسى فضل المسيء ومعروفه كله، فقدم -صلى الله عليه وسلم- علاقته بهم في بداية الحديث، فكانوا ضلالا فهداهم الله به، وعالة فأغناهم به، ثم قال ما يريدون قوله بلسانه من رحمته -صلى الله عليه وسلم-، قد يكون صاحب المقالة وصاحب الحق خجلا ممن أساء إليه، إما لكبر سنه، أو قرابته، أو مكانته، فلا يستطيع قول ما يريد بصراحة، ثم قال وهو يلخص حديثه ويلجم به كل مقولة، أوجدتم في أنفسكم لعاعة من الدنيا، تألفت بها أقوام حديثي الإسلام، ومن مصارف الزكاة أن تكون للمؤلفة قلوبهم، وكان من العرب من لا يسلم إلا من عطاء النبي -عليه الصلاة والسلام-.

جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "لمن هذا الغنم؟" جبل مليء بالغنم، فقال النبي -عليه الصالة والسلام- غير ناظر: "أيعجبك؟"، قال الأعرابي: "نعم"، قال: "إذا هو لك"، قال الأعرابي: "لي؟"، قال: "قم خذه فهو لك"، فرجع الأعرابي إلي قومه فقال: "أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخش الفقر"،

فكان -صلى الله عليه وسلم يعطي بسخاء، لأن الدنيا لم تكن في باله، ثم قال في حديثه مع الأنصار، أردت أن يسلموا، أما أنتم فوكلتكم إلى إسلامكم، كما يقال بلهجة اليوم، أنتم السند والعضد، فوكلتكم لإسلامكم، لأنكم خارج هذه الدائرة، ولن يضر إيمانكم شيء، سواء أعطيتكم، أم لم أعطكم، أما من أسلم حديثا، فيسيل لعابه لهذا الشيء من الدنيا، أما هم فقد تربوا في مدرسة النبوة، فلن يؤثر بهم هذا،

وبالفعل بعد أن قال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالكم، وشتان بين الطرفين والعطايا، فبكى الأنصار وقالوا رضينا قسما وحظا، ولو ما خرجوا من هذه الدنيا كلها بشيء، إلا برسول الله، وحب رسول الله، ودعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكفى. ([7])

الحديث الرابع:

عن حذيفة: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [أنا فرطكم على الحوض أنتظركم، أنا فرطكم على الحوض أنتظركم، ليرفع لي رجال منكم حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: رب أصحابي! رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك] ([8])

ولما سأل الصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنت تعرف من رأيت، فهل تعرف من لم تره؟ يعني كيف سيعرفنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال -عليه الصلاة والسلام-: [... فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ ...] ([9])، والغر والتحجيل هو البياض الموجود في جبين الخيل السوداء وأقدامها،

فأمة النبي -عليه الصلاة والسلام- يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء، فتأمَّل تقاعسنا عن الوضوء، أو الإخلال فيه، أو الإتيان بشيء مما ينقصه أو ينقض هذه الطهارة!

[7] قصة ذكرت في فقه السيرة ، وقال الألباني : صحيحة
[8] أخرجه أحمد في مسنده ، وقال الألباني : صحيح
[9] أخرجه مسلم ، صحيح

والوضوء عبادة بسيطة، فنهتم بالصلاة وننسى عبودية الوضوء، هذه العبودية التي سيعرفنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بها، ولذلك لا تغش أبدا في الوضوء، حينما تغسل وجهك وأنت خائف من البرد، أو حينما تخاف الفتاة على مساحيق التجميل التي وضعتها، ولا توصل هذا الوضوء إلى حلتها، وحلة المؤمن تبلغ حيثما يبلغ وضوءه.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا..] ([10])

وفي أهوال يوم القيامة، والمحطات التي يقف فيها الناس ليجوزوا الصراط، كما جاء في حديث عن أبي سعيد الخدري: [.... قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...] ([11])،

فالناس بعدما يجوزون الصراط، يبلغ بهم الظمأ من حر النار تحتهم، ومن أهوال القيامة قبله، وليس هذا فحسب بل من وقوفهم خمسين ألف سنة تحت الشمس،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: [يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَن تَغْرُب] ([12])،

هذا الوقوف المهول، الذي لولا أن كتب الله على الناس ألا يموتوا، لماتوا من شدة صعوبة الموقف ذلك اليوم، وتخيل أن الناس بعد مرورهم بتلك الأهوال، وانتهاء الحساب، وجازوا الصراط، فإن أول من يستقبلهم النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- على هذا الحوض الذي فيه نهر الكوثر، وفيه أوانٍ بمثل عدد النجوم، تُسقى بها أمته، فحينما يراهم غرًّا محجلين، يقول هو بأبي وأمي "أصحابي، أصحابي" أي تعالوا هنا، فيسقيهم -عليه الصلاة والسلام-، ولأجل هذا ندعو "**اللهم اسقنا من يد نبيك شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا**" هي هذه الشربة التي يتمناها المرء، لأنه متى ما شربت فهذه بداية الجنة، ويأتي أحد فيستبشر لرؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يناديه ليسقيه، فإذا بالملائكة تحول دونه ودون النبي -عليه الصلاة والسلام، ويختلج، أي يسحب، فيقوم النبي -صلى الله عليه وسلم- ويلتفت لهذا المسحوب ويقول "أصحابي، أصحابي" هذا من أمتي، فتقول الملائكة: "**إنك ما تدري ما أحدثوا بعدك**" أي أنهم غر محجلين، ولكنهم ابتدعوا في دين الله ما لا تعرف، سواء من ذنوب، أو معاص، أو بدع في دين الله عز وجل لم يأتِ بها رسول الله.

وهذا يحثنا على التمسك بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن فيها النجاة، وكما نقول دائما، اجعل لك وردا يوميا تقرأ فيه سيرته -صلى الله عليه وسلم-، تقرأ في سنة شمائله، كيف كان يتكلم، وماذا يقول، وكيف يأكل، اقرأ في باب ما جاء في تعامله -عليه الصلاة والسلام- مع الخدم، وفي باب عبادته، وباب قيام الليل، ابحث في حياته الاجتماعية، وتعامله مع أهله والأطفال، وحاول أن تكون نموذجا له -عليه الصلاة والسلام-، لأنه كلما كنت على سنته، كنت إلى خط النجاة أقرب، ولا تدري قد تكون ممن يُطلق عليهم "أمة محمد"، ولكن بعبادة الله عز وجل على هواك، وفعل ما تريد، سواء كان حلالا أو حراما، أو فيه لعنة أو غضب من الله عز وجل، فلينتبه الإنسان على ذلك.

[10] أخرجه البخاري ، صحيح
[11] أخرجه البخاري ، صحيح
[12] أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وقال الألباني : صحيح

الحديث الخامس:

عن أبي بن كعب قال: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ] ([13]).

تخيل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحذر من اقتراب الساعة قبل ألف وأربعمئة سنة، فقال له أبيّ: "إن أكثرت الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟" فقال له : "ما شئت" أي لا واجب فيها، قال: "قلت الربع؟" فقال -عليه الصلاة والسلام: "ما شئت وإن زدت فهو خير لك"، فقلت: "النصف؟"، فقال: "ما شئت وإن زدت فهو خير لك؟"، فقال أبيّ: "أجعل لك صلاتي كلها"، أي في سجودي ودعائي ولو لم أدع لنفسي، هل أصلي عليك فقط، قال: "إذن تُكفى همك ويُغفر ذنبك"، هذه الجملة، وهذان الشيئان، فيهما كل أحلام الإنسان وآماله، يُكفى هموم كل الأشياء التي تهمه من المستقبل، ليس بحاجة لكتابة المخططات، وليس بحاجة لدعاء طويل عريض، ويُغفر ذنبه فكل ما مضى من ذنوب تؤرقه غُفرت، وهذا ببركة الصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّواعَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا} (الأحزاب، 56) وقال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيكُم وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ} (الأحزاب، 43)،

ففي كل صلاة يخرج شيء من قلبك من الظلمات إلى النور، تأمل تلك الحالة القلبية التي يعتري فيها القلب شعور بالضيق والاختناق، ولا تعلم كيف تزيلها، لا تعلم كيف تتوب من ذنوبك، وغير قادر على تغيير حياتك، فإنه من الأشياء التي تجلي الروح، غير الذكر والاستغفار والتهليل، الصلاة على النبي -محمد صلى الله عليه وسلم-

حينما تشعر بأنك تائه، لا هدف لك، لا تعلم ما تفعل، ولأي سبيل تمضي، تريد الهداية والرشد، سنين تمضي وعمر يمر ولا تعلم ما هي رسالتك في هذه الحياة، حينما تصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- يبدأ هذا السد بالانحسار، فتتضح لك الرؤية، لأن الله عز وجل وعد المصلين بإخراجهم من الظلمات إلى النور.

الحديث السادس:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ

[13] أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الألباني : حسن

أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»] (14) .

اقتتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع المشركين، وكانت المعارك تستمر يومين أو ثلاثة، فلما حل الليل وأرادوا المبيت، ذهب المشركون إلى معسكرهم، والنبي -عليه الصلاة والسلام- والصحابة إلى معسكرهم،

وكان في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذّة إلا أتبعها، فضربها بسيفه، أي أنه أبلى بلاء حسنا في المعركة، بتتبع المشركين وقتلهم، وجعل الصحابة يتحدثون عن أحداث المعركة، فقالوا: "ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان" أي أننا كنا كلنا في كفة، وفلان في كفة، لثقل ما فعل، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "**أما إنه من أهل النار**" فتخيل هذا، رجل في معركة، وأبلى بلاء حسناء بشهادة الجميع،

فشق ذلك على الصحابة، فقال رجل من القوم: "أنا صاحبه" أي أنه لو بدأت المعركة سيكون معه كظله، ليرى لمَ كان من أهل النار، والصحابة كانوا يصدقون قول النبي -عليه الصلاة والسلام_ إذا قال عن أحد إنه من أهل النار، فهو من أهل النار ولكنهم أرادوا معرفة سبب ذلك، فخرج معه صاحبه، وكلما وقف الرجل وقف معه، وإذا أسرع، أسرع معه، فجُرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت بوضع نصل السيف بالأرض، أي أنه ركزه في الأرض، ثم وضع ذبابته بين ثدييه، أي طرف السيف، ثم انحنى عليه ورمى بنفسه على السيف، فتحامل على سيفه وقتل نفسه، لأنه لم يتحمل الألم،

فتخيل هذا الرجل القوي الشجاع والجريء، عند أول أذى وألم في نفسه، لم يتحمل، ولم يصبر، فاستعجل الموت، فخرج الرجل إلى رسول الله فقال: "أشهد أنك رسول الله"، فقال الرسول: "وما ذاك؟"، قال: "الرجل الذي ذكرت آنفا إنه من أهل النار"، وقص عليه ما حدث، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معلقا: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، فيعمل بعمل أهل النار، فيُقبض عليه فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، ثم يعمل بعمل أهل الجنة، فيُقبض عليه فيدخلها، وهو من أهل الجنة"، وجاء في رواية أخرى: [إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا ....] (15)،

وهذا ما يُطلق عليه حسن الختام، وهو مقرون بحسن البواطن والنوايا، فهناك من يكون أمام الناس الأفضل، ممتاز، ونشيط، وخيّر، ولكنه بينه وبين الله في خلواته يقترف الآثام، وفيه من الشر، وهذا الشر سيفضحه لا محالة، ودوما ما يُقال **إن الذنوب خوّانة، تخونك في أحلك اللحظات**، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ} (آل عمران، 155)،

هذه الآية نزلت في غزوة أحد التي تلقن فيها المؤمنون درسا، بأن نفس الإنسان قد تخذله، فتهرب من أرض المعركة بذنب سابق، وذاك أن الشيطان له مدخل عليك، فمتى كان الشيطان له مدخل عليك، يجرك ويسحبك إليه، فلا تتعايش مع الذنب، ولا أي معصية، وحاول جاهدا مسحه وتركه، وأن يكون عملك الدائم عدم الرجوع عن توبتك، وتجديد التوبة منه.

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، لكنه بينه وبين الله يبكي في صلاة الليل، أن يا رب أنقذني مما

[14] أخرجه البخاري ، صحيح
[15] أخرجه مسلم ، صحيح

أنا فيه، هذا الإنسان الأواب الذي يستنصر بالله على نفسه، ويقول يا رب إني مغلوب فانتصر، انتصر لي لأني لم أعد أقوى على نفسي، فيا رب قوني، واهدني، فهذا الذي لا يعلم الناس عن ليله، ودعائه، وتبتله، وبكائه بين يدي الله، ثم يسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيختم الله عز وجل له، فييسر له التوبة، قد تكون في آخر سنة، أو آخر ساعة في آخر ما تبقى من عمره، فيقبضه الله عليها، ولذلك إذا أراد الله بعبد خيرا عسّله، أي وفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه، وهناك من يكون قبل موته من أنشط ما يكون، يفعل هذا ويفعل ذاك، ثم يقبضه الله وهو في نشاطه ذاك، وعز بذله، لأنه متى قُبض على هذه الحال، ستبقى كل الثغور التي سدها وأبواب الخير التي افتتحها في ميزان حسناته إلى يوم القيامة.

الحديث السابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: [مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ] ([16])

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ] ([17])

وعيدا أي مزارا، والمزار بأن توضع عليه قبة كالتي يطاف بها، وفي ما سبق كانوا يطوفون على قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتبركون به، وهذا غير جائز، ولا يجوز أن يكون عيدا، بمعنى أن يذهب ويدعو النبي -عليه الصلاة والسلام- لينقذه أو يرزقه، وذلك لا يجوز، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد لله ورسوله، وما نفعله عند الروضة الشريفة بالذهاب إليها، فنصلي فيها ركعتين، ثم ندعو الله عز وجل ولا ندعو رسوله.

الحديث الثامن:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أكثرهم علي صلاة] ([18]).

ومعنى أولى الناس بي، أي بشفاعتي والشرب من الحوض ومرافقته، أي أقرب الناس إليه يوم القيامة، وهم أكثرهم صلاة عليه -عليه الصلاة والسلام-، فإذا كنت تبحث عن الطريق، وتريد القرب من الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وتريد تلك المكانة، وتخيل سعادتك لو رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- على صفته المذكورة في الكتب في المنام فقط، ما هو شعورك؟ ومن ستخبر أولا بهذا الحلم!

وتخيل ما هو أعظم من ذلك، أن تكون أولى الناس به -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة، ويقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ] ([19])،

أي أنه في كل مرة تصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- تحط عنك عشر خطيئات، وترفع في الجنة عشر درجات، غير أمر الشفاعة، وغير تقربك من الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فإذا كنت خائفا من بُعدك، وعدم وجود الأعمال

[16] أخرجه أبو داود في سننه ، وقال الألباني : حسن
[17] أخرجه أبو داود في سننه ، وقال الألباني : صحيح
[18] أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وقال الألباني : حسن لغيره
[19] أخرجه النسائي في سننه ، وقال الألباني : صحيح

التي تقربك وحتى تجعلك ممن يرونه -صلى الله عليه وسلم- وليس لك وجه لرؤيته بسبب ما تُقدِم عليه من أعمال، والتردد الذي يثنيك، ويجعلك تتقدم بخطوات بطيئة، عندما يعتريك هذا الشعور، أكثر من الصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- وضع في بالك أنك ستكون أولى الناس به يوم القيامة.

الحديث التاسع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ] [20]

تأمل هذه الصفات، من لم يبر بوالديه ومن لم يغفر له في رمضان، مقرونة بمن لم يصلِّ على النبي -عليه الصلاة والسلام- عند ذكره، وجاء في الحديث أيضا، عن الحسين عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: [البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي] [21]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: [مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ] [22]،

في كل مجلس، سواء في الدوام، أو جمعة أهل، أو بين الأصدقاء، أو بين شخصين، والوترة تعني الحسرة والندامة، فإن شاء الله عذبهم على هذا المجلس، وإن شاء غفر لهم، تخيل مجرد جلوسك في مجلس، ومرور الوقت دون ذكر الله فيه والصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- فيه، **فهذا المجلس حسرة وندامة**،

كأن يكون مجلساً تملؤه أخبار الدنيا، وتترك المجلس دون ذكر الكفارة، ولم يذكر الله أحداً ممن كانوا فيه، لأن الدين نظَّم حياتنا، وعلمنا الاستفادة منها في كل لحظة، ولم يكن ليجعلنا نمضي عمرنا دون هدف، والأمر بسيط فقد يكون مجلسك ساعة أو ساعة ونصف، وبمجرد ذكر لرسول بقولك "اللهم صلِّ على محمد" عند نسيانك أمراً ما، لارتفع عنك الحرج.

الحديث العاشر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: [إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ] [23]

والشفاعة ليست خاصة بالصالحين المؤمنين، بل تكون أيضا لأولئك الأقوام الذين استهلوا النار، فجاءته شفاعة النبي -عليه الصلاة والسلام- بأعمالهم الخيرة التي كانوا يعملونها، وبعدم الاستسلام لذنوبهم، وتخبطهم من حرام إلى حرام، فقاوموا مرة بذكر الله، ومرة بالصلاة على نبيه، ومرة بالصدقة، وهذه المحاولات لا ينساها النبي -صلى الله عليه وسلم- فتحل الشفاعة ببركة تلك الأعمال الخيرة

[20] أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الألباني : حسن صحيح
[21] أخرجه أحمد في مسنده ، وقال الألباني : صحيح
[22] أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الألباني : صحيح
[23] أخرجه مسلم ، صحيح

الحديث الحادي عشر:

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: [جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي] ([24])

جاء ثلاثة من الشباب المتحمسين إلى بيوت أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام-، يسألون عن عبادته، فلما أخبروهم أنه كان يقوم وينام، ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، ثم ينام سدسه الأخير قبل الفجر، فتقالّوا أن كيف هذا، ألا يقوم الليل كله! فهو غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،

ثم سألوهم عن صيامه وعبادته، فلم يعجبهم، فقالوا: "أين نحن منه" فقال أحدهم: "أما أنا فأصلي الليل كله"، لن أنام، وأما الآخر فيصوم ولا يفطر، وقال آخر سأعتزل النساء ولن أتزوج، فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- إليهم وقال: "قلتم كذا وكذا، أما إني والله لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"،

ودين الله وسط، ليس دين رهبانية، ولا دين زهد، بمعنى أن يبيع كل الدنيا، فلا يتزوج ولا يعمل، ولا هو دين صوفية، بل هو دين يعترف ببشريتك، فحينما تتبع لهذا الدين، ستتبع سنة رسول الله، سترى كيف كان يتصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- لو كان مكانك، وستفعل مثله،

فهناك فرق بين من ينام اثنتي عشر ساعة، ويقول أن هذا احتياجه من النوم، وهذا خاطئ لأن المعدل الطبيعي للنوم من سبع إلى ثمان ساعات في اليوم، وقد تكون خمس ساعات كافية، والفرق يكون في من يقضي بقية ليلته على مسلسلات هابطة، وبين من يناجي ربه، وهذا الفرق يظهر أثراً صحيًّا ببياض الوجه ونوره، وكل من في هذه الدنيا مكدود، لكن هناك من يكد لأجل المال والراتب والدنيا، وبين من يسعى ليبقى له أثر ينفعه يوم الوفود على الله عزوجل،

فهذه الدينا ليس دار رخاء، ولا هي دار راحة، والتعب مكتوب عليك، ولكنه إن لم يكن في طاعة الله عزوجل، أتعبتك الدنيا بمجاهليها، فمن أكثر القعود قام ووقف ليعيد الجسم إلى طبيعته، لأنه لم يعتد القعود إلى هذه الدرجة، ومن أكثر النوم قام متضعضع الجسد، لأن كل شيء حينما يزيد ينقلب على عقبه، فالدنيا متعبة، والراحة متعبة، لذلك يعقب مشاعر التعب مشاعر لذة، وبهذا يرى الإنسان الحياة من منظور آخر، فمن رغب عن سنته -صلى الله عليه وسلم- ليس منه

[24] أخرجه البخاري ، صحيح

الحديث الثاني عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا] ([25])

وقول النبي -عليه الصلاة والسلام- "لن ينجي أحد منكم عمله" ضابط مريب، تخيل أنك من أحسن الناس، صليت وصمت وتصدقت، وفعلت كل ما أمرت به، ولن ينجيك عملك، قالوا: "ولا أنت يا رسول الله"، الذي فعلت وفعلت، ودعوت الأمة بأكملها، والتي تشققت أقدامك، قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته"،

وقد وضع النبي -صلى الله عليه وسلم- منهجاً للحياة، فقال: "سددوا وقاربوا"، فلا تبتعدوا كثيرا، ولا تحتاروا، فإن رأيت خيراً، حاول الاقتراب منه بقدر ما تستطيع، فلا أهمية للوصول إلى مرتبة الكمال، ما دمت تحاول وتجتهد، "واغدوا وروحوا" أي استعينوا بالغدوة والروح، بصلاة الفجر وصلاة العصر، وأذكار الصباح وأذكار المساء، وحاول أن ينقضي نهارك على شيء من الخير، وأن ينقضي ليلك بشيء من الخير أيضا، حاول توزيع الخير على كامل يومك، كجعلك الورد وقيام الليل ووترك ليلا، وبر والديك وصلة الأرحام صباحا، أو إغاثة الملهوف والسعي في حاجات الناس، والحياة هكذا مزدحمة وسريعة، وقد تكون هذه أول سنة لك في بيتك، أو أول سنة بوجود طفل، أو قد تكون أول سنة دون أولادك، فالحياة متغيرة، ولكن الأهم أن تكون علاقتك بالله ثابتة دائمة لا تتغير.

الحديث الثالث عشر:

عَنْ عَلْقَمَةَ، [قُلْتُ لِعَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَخْتَصُّ مِنَ الأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: " لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً ...] ([26]).

وديمة أي دائما، وأحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل، فلا ينبغي أن تقرأ خمسة أجزاء في يوم، وتستريح بعدها شهرا.

الحديث الرابع عشر:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: [أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: فِي آخِرِ الْوِتْرِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ] ([27])

وكان وتره -صلى الله عليه وسلم- ينهي به قراءة البقرة وآل عمران، يعني تكاد تكون صلاته خمس أو ست ساعات، وقد يستعيذ الإنسان بمثل هذه الاستعاذة إن كان سيء العمل، مذنبا، يستعيذه بتلك المشاعر الخائفة، فكل شيء تخافه تهرب منه، إلا الله عز وجل إن خفته هربت إليه، وهذا الدعاء تتجلى فيه العبودية، فتختم به صلاتك وعملك الصالح، وتسأل الله أن يغفر لك سيئاتك وذنوبك وتقصيرك، أن يا رب أنا طامع برضاك ومعافاتك من عقوبتك.

[25]]أخرجه البخاري ، صحيح
[26] أخرجه البخاري ، صحيح
[27] أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الألباني : صحيح

الحديث الخامس عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي حَتَّى تَزْلَعَ قَدَمَاه] ([28])

ومعنى تزلع: أي تتشقق، وكانت تتشقق لكثرة الوقوف لا لشيء آخر، وهذا قيام العبد الذي يرجو ما عند الله عز وجل

وجاء عن النبي -عليه الصلاة والسلام- عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم] ([29])، فما كان بكاء النبي بكاء بصوت عال، بل كان به أزيز فيه صوت المخنوق، وكأن البكاء حبيساً داخله، وهذه غاية الرهبة والتعظيم لله عز وجل.

وعندما نقرأ هذه الأحاديث ونتعلمها، نعرف أن صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وعبادته لم تكن صورية، فليست القضية أن أودي قائمة مهام، أنهي المهمة وراء المهمة، بل كانت صلاته صلاة عبد لله يتعبد بها الله، وكان يبيت عند الله عز وجل يناجيه، وهذا البكاء قد لا يكون بكاء خوف، بعضه بكاء حب، وبكاء شوق، وتأتي على الإنسان حالات في صلاته قد ملَّ الدنيا، فيكون هذا البكاء بكاء الهارب المشتاق لرؤية وجه الله الكريم، ورؤية الجنة والملائكة،

وهناك من الصلوات التي تشعر بها وكأنك تحلق، وأن هذه الدنيا ما عادت ترضيك، ولا تريد منها شيئا، وهناك بكاء الخائف على النعمة التي بين يديه، أن لا تسلبها مني يا رب، ولا تسلبني حلاوة القيام بين يديك، وألا تسلب نعمة الخشوع بذنب أو كلمة أو همزة أو حتى سوء ظن، وهذه كلها من سوالب النعم،

وعلى هذا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتعبد ربه بهذا الخوف والرجاء، الذي قال عنه حذيفة: [أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَتَعَوَّذَ] ([30])،

وهو رسول الله الذي نرجو شفاعته، الذي لن يفتح باب الجنة إلا حينما يطرقها، ومع ذلك يقف بآيات الجنة ويسأل الله الجنة، وهذا جائز في قيام الليل، بأن تقطع قراءة القرآن وتسأل الله من فضله، فعندما تقرأ قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} (الحجر، 45-46-47)، تسأل الله الجنة فتقول "**يا رب أسألك الجنة**" إلى أن يطيب خاطرك، وتشعر بأنك دخلتها، ثم إذا مررت بآيات النار قلت "**اللهم إن أعوذ بك من حر النار**" وأنت تقف في صلاتك، وهذه طريقة الاستعاذة، ومن يتعوذ من النار ويسأل الله الجنة بهذه الطريقة، فلن يضيعه الله عند موته ولن ينساه، وإنما يعطى ما يخاف، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: [وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ...] ([31])

الحديث الأخير:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: [اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي

[28] أخرجه النسائي في سننه ، وقال الألباني : صحيح
[29] أخرجه أبو داود في سننه ، وقال الألباني : صحيح
[30] أخرجه أبو داود في سننه ، وقال الألباني : صحيح
[31] أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وقال الألباني : حسن صحيح

وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ([32])

من الأحوج لهذا الدعاء؟ هل نحن أم رسول الله؟، ولذلك هذا من الأدعية التي يجب على الإنسان حفظها، وأن يجعلها ضمن أوراده وأدعيته كل يوم،

نحن نكذب أحيانا عند المزاح، أو المبالغة، وقد يقول الإنسان شيئاً مغايراً للحقيقة لجهله أو خطأه أو زلة لسان، ولذلك يستعيذ الإنسان من هذا كله،

وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يدعو بهذا الدعاء عندما يضع جنبه على فراشه، عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْمَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: [بِسْمِ اللَّهِ وَضَعْتُ جَنْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَى] ([33])

وانعم بعده بجميل النوم، لأنك استغفرت ذنبك، ودعوت على شيطانك، لأن مشكلتنا في شياطيننا التي تؤزنا، وفك رهاني من الأشياء التي كنت أسيرها، من ذنوب ومعاص، واجعلني من الندي الأعلى، وهم الملأ الأعلى أصحاب الدرجات العلى.

هذه كانت مجموعة من أحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وأسأل الله أن يجمعنا ووالدينا مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأن يسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين..

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

[32] أخرجه مسلم ، صحيح
[33] أخرجه أبو داود في سننه ، وقال الألباني : صحيح